القس لوسيان جميل ... انعكاس لحالة التدهور التي وصلتها كنيستنا الكلدانية

تقوم هيئة تحرير "اومثا كلديثا" بنشر الرسالة التي قام بتوزيعها قس مدينة تلكيبة (تلكيف بالعربية) ، لوسيان جميل، والتي يتهجم فيها على سيادة البطريرك روفائيل بيداويد، بطريرك بابل على الكلدان وبطريقة غير لائقة، اضافة الى تهجماته على المطران سرهد جمو، والسبب في كل هذا وذاك ان هذا القس الذي اصابته عدوى التعريب البعثية غير راض على توجهات البطريرك وكل من سانده من اجل الحفاظ على تراث كنيستنا الكلداني وعدم السماح لدعاة التعريب من الاستمرار بنهجهم التخريبي الذي نجح لحد الان من تعريب جزء مهم من ابناء امتنا الكلدانية. ان هيئة التحرير لعلى ثقة ان قرائنا الكرام لقادرين على الفصل بين التشكيات المشروعة على ما تعاني منه المؤسسة الكنسية من مشاكل عديدة والمطالبة بأصلاح ذلك الخلل ومن محاولات توظيف تلك التشكيات من اجل تمرير مخطط التعريب الخبيث. وهنا نأخذ هذه الفرصة لندعوا آباء كنيستنا الأفاضل التوجه الجاد و العلني وامام جميع ابناء امتنا الكلدانية لتبيان طرق حل تلك المشاكل ومن اجل تفويت فرص استغلالها من قبل دعاة التعريب ومن لف لفهم.

اذا عرف السبب... بطل العجب! لوسيان جميل

الى اخوتي كهنة الكنيسة الكلدانية... والى كل من يهمه الامر في كنيستنا العراقية،

تحية محبة واحترام

وبعد... فأني اعود الى قرائي الاعزاء من جديد، بعد انقطاع قصير كانت له اسبابه المبررة، واهمها اني كنت قد اعطيت مهلة للاصدقاء وللخصوم على حد سواء، ليفكرو مليا بما كنت قد كتبت، وايضا ليتأملوا بالاحداث التي مرت بكنيستنا الكلدانية منذ بضعة اشهر والتي تمر بها حتى يومنا هذا. فما مر بكنيستنا الكلدانية لم يكن اقل خطورة مما مر بامريكا، في الحادي عشر من ايلول المنصرم، ومع ما تبع ذلك من اعتداء على عالم الضعفاء من اجل استعباد بلدانهم، مع حفظ النسب طبعا. وقد كان من سوء طالع القس أسعد (حنونا .. لمدينة تلكيبة.. أبك.)، ان تكون رسالته، بمثابة ايلول امريكا، بالرغم من ان الضجة التي عملت ضدها كانت ضجة مفتعلة قام بها غبطة البطريرك واعوانه المتكتلين معه، لكسر تحرك الكهنة الشباب ضد الظلم والاستبداد في الكنيسة، ولدحر المجددين في وقت معا. فقد ظن غبطة البطريرك انه يقدر ان يضرب اكثر من عصفور بحجر واحد، اذا قدر ان يثير الكنيسة ضد القس اسعد، في مسألة بدت له سهلة الاستغلال. وقد بلغني ان احد الاباء الكهنة زار غبطة البطريرك في البطريركية تزلفا او تحقيقا لمصلحة. وقد شكا غبطته لهذا الكاهن، رغم صغر سنه، من رسالة القس اسعد قائلا: ماذا عملت للقس اسعد حتى يكتب عني ما كتب؟! ورغم اني لا اقف هنا موقف المدافع عن تلك الرسالة، الا اني اتبرع مجانا لغبطة البطريرك لاقول له ماذا عمل للقس اسعد ولاخوته الكهنة الاخرين، لكي يكتب عنه وعن تكتله السلفي العنيف تلك الرسالة. فلعله لن يتعجب بعد مما يحصل له. وبدءا اقول ان القس اسعد هو واحد من القسس الذين لهم عيون تبصر واذان تسمع وقلب يشعر بما يقع عليهم وعلى الاخرين من ظلم، ويتصرفون تبعا لهذا الشعور. وقد يكون القس اسعد واحدا من الذين يفكرون بقلوبهم اكثر مما يفكرون بعقولهم، وقد تكون للقس اسعد دوافع خاصة لكتابة تلك الرسالة لا تعود كلها الى حالة الصراع القائمة بين المجددين وبين اعداء التجدد. لكننا، لابد ان نعترف بواقع حصل في الكنيسة يقول ان القاعدة المؤمنة في الكنيسة خرجت من سلبيتها وصمتها ونبذت الاتكالية التي ورثتها من العهود الاقطاعية والطائفية لتتدخل بشكل ايجابي في امور كنيستها.

وفي الواقع، لم تكن رسالة القس اسعد مهمة بمضمونها، بقدر ما كانت مهمة بدلالاتها التي اهملها البطريرك، وعمل مثل النعامة التي تدس رأسها في الرمال، لكي لا يراها الصياد، وركز على ما كان سلبيا فيها. علما بأن هذه الدلالات، وليس المضمون، هي التي اسعدت كثيرين في الكنيسة الكلدانية، باستثناء بعض من عمل لهم البطريرك عملية لا اسميها باسمها، افقدتهم رجولتهم، لكي لا يسموا الاشياء باسمائها الحقيقية، ولكي يعتبروا من هم عراة وكأنهم مجللون بافخر الثياب. وعلى اي حال، علينا ان لاننسى ان القس اسعد كتب رسالته المعروفة في اعقاب معمعه اخراج القس لويس العنيفة والظالمة والتامرية من رئاسة المعهد البطريركي الكهنوتي، واثر ردود الفعل القوية التي عقبتها. كما يجب ان لا ننسى بأن الاب لويس كان يحظى بأحترام ومحبة تلاميذ المعهد القدامى منهم والجدد، ومنهم القس اسعد. وقد عمل القس اسعد مثل ذلك الطفل البريء الذي رأى الملك عريانا، فنادى بأعلى صوته: الملك عريان! الملك عريان! وماذا في هذا؟ فقد قيل: خذ الحقيقة من الآطفال او المجانين! اذ قد يكون الآطفال او المجانين أنبياء الله احيانا. وبمناسبة ذكر حادثة القس لويس اود ان اطلع قرائي الآعزاء على ما كان خفيا حتى الآن من اسباب الضربة التي وجهها غبطة البطريرك للاب المذكور. ولكن قبل كل شئ علينا اولا ان نقلل من شأن بعض تصريحات غبطة البطريرك التي قالت ان غبطته فعل ما فعل بالاب لويس بسبب كلمة غير لائقة قالها له. فلو كانت المسألة مسألة كلمة غير لائقة قالها الاب لويس بحق البطريرك، لما كان البطريرك نفسه قد دعى القس لويس الى ان يأخذ موقعا كنسيا في بغداد، غير المعهد الكهنوتي. علما ان ما قاله القس لويس لغبطة البطريرك قد قاله في رسالة شخصية. فأذا كان غبطة البطريرك لم يقدر ان يتعامل مع هذه الرسالة بشكل متوازن، وفضح نفسه بنفسه، فذلك لانه كان اصلا بأنتظار حجة مقبولة اعلاميا، تمكنه من اخراج الاب لويس من المعهد الكهنوتي. فغبطته اذن، لم يعف القس لويس من منصبه بسبب كلمة قالها له في رسالة خاصة، بل اعفاه من منصبه لدوافع اخرى غير الدوافع المعلنة، كما يفعل السياسيون بمكر ودهاء، وباسلوب مضلل يعتمد انصاف الحقائق. والحقيقة هي ان ابعاد القس لويس لم يأت لسبب واحد فقط، وانما هناك ثلاثة اسباب رئيسية، كانت من وجهة نظر البطريرك في منتهى الخطورة، جعلت غبطته يقدم على قراره الخطير الذي لقي نقد واستهجان الكثيرين، وكشفت معدنه الحقيقي امام الجميع. اما السبب الاول الذي اثار حفيظة غبطة البطريرك ضد القس لويس فهو ان هذا الاب اعتمد اللغة العربية في بعض الممارسات الدينية في المعهد الكهنوتي، بخلاف ما كان سائدا في هذا المعهد بشكل تقليدي. وقد اقدم القس لويس على هذا العمل في وقت كان فيه غبطة البطريرك غائصا حتى ذقنه في عملية البرهنة للكنائس الاشورية بأن الكنيسة الكلدانية ليست اقل من كنائسهم في المسائل القومية والتراثية السريانية، وانه جدير بقيادة النهضة السريانية مثل اخيه البطريرك الاشوري.

لذلك لا نستغرب ان يكون غبطته بهذه القسوة مع الذين لم يخضعوا لتعليماته في هذا المجال، ومنهم القس لويس. فالحقيقة ان القس لويس قد بدا خطرا على كل الطموحات التي كان غبطة البطريرك قد بناها على اساس لعبة القومية التي تبناها غبطته بحزم ونشاط، متجاهلا كل التحذيرات التي وجهت اليه ونبهته الى خطورة هذه اللعبة التي طبخت في شيكاغو وديترويت، على يدي مار باوي الاشوري والقس سرهد جمو الكلداني الذي كافأه البطريرك بأن رقاه للاسقفية، بعد ان كان قد منعه من الخدمة الكنسية لمدة تزيد على السنة، بسبب غوغائيته الفارغة في الكنيسة، وعدائه السافر وغير المبرر لكل ما ليس، ومن ليس، كلدنيا او اشوريا. وهنا لست اكشف سرا اذا قلت بأن عداء غبطة البطريرك الحقيقي لكتابات القس لوسيان يكمن في ان ما يكتبه القس لوسيان من لاهوت يأتي وفق منهجية علمية معاصرة لا تتفق مع منهج غبطته القومي التراثي والطائفي الذي يستغله لصالحه، ولا مع اساطيره التقليدية التي تبرر له استبداده بالكنيسة.

اما السبب الثاني الذي حدا بالبطريرك الى اخراج القس لويس من المعهد الكهنوتي فيعود الى نهج القس لويس في ادارة هذا المعهد، ولاسيما فيما يخص علاقته مع الطلاب وطريقة تنشئتهم. فقد نهج القس لويس نهجا يختلف عن نهج القس شليمون وردوني(المطران شليمون حاليا) في مسائل جوهرية كثيرة، وقد سعد الطلاب بهذا المنهج كثيرا. اما هذا النهج فكان يعتمد على احترام الانسان واحترام خصوصياته وخياراته الحرة. علما بأن القس لويس كان يؤكد على حرية طلابه وعلى مسؤوليتهم الشخصية الكاملة في بناء ذواتهم الروحية، بحيث يكون اي عمل يعملونه نابعا من قناعات وجدانية وموضوعية، لا تنبع من خارج الانسان بل من داخله، وذلك على عكس التنشئة القديمة التي كانت تؤكد على الطاعة المطلقة للرؤساء في كل شئ، وعكس ما يطلبه غبطته من ادارات المعهد الكهنوتي. وهكذا كان القس لويس قد خطا خطوات مهمة في المعهد الكهنوتي باتجاه المعاصرة التي تتعارض مع القمع والقهر والتهديد الذي يطلب من المرؤوس طاعة عمياء، ويحول المرؤوس الى روبوت مسير، فيفقد بذلك حريته وانسانيته. ولكن انى للسلفيين المعادين لحرية الانسان ان يفهموا ذلك! فقد شعر غبطة البطريرك بأن القس لويس سوف يربي اجيالا من الكهنة تكمن خطورتهم في انهم لن يطيعوا رؤساءهم بدون قيد او شرط، وهو ما لا يقبل به غبطته، بسبب تربيته الرومانية السلطانية التي عفى عليها الزمن، والتي تتعارض مع حضارتنا الجديدة التي دخلت الى الكنيسة منذ فترة المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، على الاقل. لذلك كان غبطته يفتش عن ذريعة لاخراج القس لويس من المعهد الكهنوتي، فوجدها في كلمة اعتبرها غير لائقة بشخصه، في رسالة شخصية كان قد وجهها القس لويس اليه. اما السبب الثالث الذي جعل غبطة البطريرك يعفي الاب لويس من رئاسة المعهد الكهنوتي فيكمن في جسارة تخطي مرجع كبيرة قام بها القس لويس، دوخت غبطته واعوانه، وافقدتهم توازنهم. فقد عمل القس لويس على جمع تواقيع من كهنة بغداد تطلب من روما ان ترسل زائرا